

المادة العلمية للبحث: في مفهومها وكيفية جمعها وتنظيمها وتوظيفها في
العلوم الاجتماعية

Scientific Material for Research : Its Concept, Collection,
Organization, and Utilization in Social Sciences

د. جواق سمير*، جامعة الصديق بن يحيى -جيجل- (الجزائر).

samir.djouak@univ-jijel.dz

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:	المؤلف المرسل:
----------------------	---------------------	--------------------	----------------------

الملخص:

إن إعداد بحث ينتمي إلى مجال العلوم الاجتماعية يمر بالعديد من المراحل التي إذ ما اتبعها الباحث سيتسنى له مُجاوزة الصعوبات التي يصادفها أثناء اشتغاله على موضوعه. وفي هذا الصدد، تعد علمية جمع المادة العلمية حول الموضوع المدروس؛ تنظيمها، تصنيفها، ترتيبها وتوظيفها من أهم الإشكالات التي تُطرح على الباحث. ومن أجل توضيح هذه النقطة؛ جاءت دراستنا هذه التي تتناول الطرق المنهجية والمعرفية في كيفية جمع المادة العلمية للبحث المدروس وتوظيفها؟

وقد انتهت هذه الدراسة، إلى خلاصة مفادها أن على الباحث في مجال العلوم الاجتماعية أثناء اشتغاله على موضوعه الاستعانة بالدراسات الأكاديمية السابقة من أجل الاستفادة منها وتقديم مساهمة جديدة في موضوعه، وأن يكون متمكناً من اللغات الأجنبية حتى يكون مُطلعاً على كل جديد كتب بلغةٍ أخرى غير لغته حول موضوعه. وحتى يتمكن لاحقاً من تصنيف المصادر والمراجع وترتيبها على نحو يخدم موضوعه البحثي بشكل مباشر وهادف، متوسلاً في ذلك بالعديد من الطرائق والأساليب المنهجية في عملية الترتيب، التصنيف، التحليل والتركيب.

الكلمات المفتاحية: المادة العلمية، الدراسات السابقة، المصادر، المراجع.

*المؤلف المرسل

Abstract :

Conducting research in the field of social sciences involves several stages that, if followed properly by the researcher, can help overcome the difficulties encountered while working on their topic. In this context, the process of collecting scientific material related to the studied subject—organizing, classifying, arranging, and utilizing it—is one of the most significant challenges researchers face. To clarify this point, this study explores the methodological and epistemological approaches to collecting and utilizing scientific material for research.

The study concludes that researchers in the field of social sciences should rely on previous academic studies to benefit from them and contribute new insights to their subject. They should also be proficient in foreign languages to stay updated on the latest writings in other languages concerning their topic. Additionally, researchers must be capable of systematically classifying and arranging sources and references to directly and effectively serve their research topic, employing various methodological techniques in the processes of organization, classification, analysis, and synthesis.

Keywords : scientific material, previous studies, sources, references

1. مقدمة:

يُعرف عصرنا الراهن بـ "عصر المعلومات" أو "مجتمع المعلومات"، أين غدت المعلومة والمعرفة هو الرهان الأساسي الذي تسعى كل الدول والمجتمعات إلى صناعتها وتوظيفها بما يُحقق التنمية في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وهو ما من شأنه أن يحقق أيضاً التقدم والتطور والنهوض الاجتماعي والاقتصادي المنشود.

لذلك، فلا غرابة، أن تتسم المرحلة الراهنة بالاهتمام المتزايد بالبحث العلمي ومؤسساته، من حيث أساليبه وطرائقه وتقنياته وأدواته المتنوعة والمتعددة، بما يواكب التطور الحاصل في ميادين تكنولوجيا المعلومات

والاتصال والذي انعكس بدوره على مختلف التخصصات العلمية والمعرفية وتأتي في مقدمتها العلوم الاجتماعية.

يتميز البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية بنوعٍ من الفرادة والخصوصية مقارنة بالفروع العلمية الأخرى، ويأتي ذلك من طبيعة الموضوع المدروس في حد ذاته، والأهداف المرجوة منه، والمناهج التي يتوجب استعمالها بما تتلاءم مع الموضوع والغايات منه. لذلك فإن الباحث في مجال العلوم الاجتماعية سيجد نفسه أمام العديد من الصعوبات والعوائق المنهجية والمعرفية في سبيل إنجاز بحث علمي في مجاله.

ومما لا شك فيه؛ إن إعداد وإنجاز بحث ينتمي إلى مجال العلوم الاجتماعية يمر بالعديد من المراحل والخطوات التي إذ ما اتبعها الباحث سيتسنى له مُجاوزة الصعوبات وتذليل العراقيل التي يصادفها أثناء اشتغاله على موضوعه قيد الدراسة. وهو ما من شأنه أن يُقدم حلاً للمشكلة التي يعالجها ويسهم في تحقيق التنمية والنهوض بمجتمعه، وهي إحدى المرامي والمسااعي النبيلة التي يسعى إليها البحث العلمي الجاد والريز.

وفي هذا الصدد، تعد علمية جمع المادة العلمية حول الموضوع المدروس؛ تنظيمها، تصنيفها، ترتيبها وتوظيفها من أهم الإشكالات التي تُطرح على الباحث في ميدان العلوم الاجتماعية. ومن أجل توضيح هذه النقطة؛ جاءت دراستنا هذه التي تتناول الطرق المنهجية والمعرفية في كيفية جمع المادة العلمية للبحث المدروس وتوظيفها؟

2. الدراسات الأكاديمية السابقة: في مفهومها وكيفية الاستفادة منها.

تعد الدراسات الأكاديمية السابقة بمثابة القاعدة المعرفية والمنهجية التي يستند عليها الباحث في مجال العلوم الاجتماعية، قبل وأثناء خوض مغامرته البحثية في موضوع ما بغية تقديم الجديد المعرفي والمنهجي فيه. لذلك فلا غرابة أن يتم وصفها بمثابة الخطوة الأولى التي ينبغي على الباحث القيام بها وهي جمع هذه الدراسات السابقة والاطلاع على ما جاء ثاوياً فيها. وتعرف الدراسات السابقة على أنها "تلك المجموعة البحثية السابقة التي من شأنها أن تحتوي على موضوع الباحث الذي يتناوله في البحث العلمي، فتقوم الدراسات السابقة بدراسة الموضوع الذي يتناوله في الباحث العلمي في بحثه ومناقشتها، إذ يعتمد الباحث العلمي على هذه الدراسات السابقة؛ وذلك من أجل تحليل محتواها ودراستها على نحوٍ مطلوب، وبالتالي تحديد أوجه المقارنة بين الدراسات السابقة والبحث العلمي الذي يتناوله الباحث" (يحياوي، 2021، صفحة 321)

علماً أن ما يجب الإشارة إليه في هذا السياق، أنه لا عيب ولا حرج في أن يستعين الباحث بالدراسات الأكاديمية التي تم إنجازها سابقاً حول موضوعه، ولعل ما يُزيل هذا الإحراج أن هذه الدراسات السابقة تعد بمثابة الانطلاقة نحو تقديم شيء جديد واضافي الى البحث العلمي، زيادةً على أن التوسّل بها يعد من أهم الخطوات التي ينبغي القيام بها في أي بحثٍ علميٍّ فالباحث يقوم بجمع المعلومات وتصنيفها، واستخدام ما يليق به ويتماشي مع خطته وهو بهذا العمل يحاول أن يضيف شيئاً جديداً، الى ما درسه علماء من قبله، وذلك بإعطاء صورة مصغرة عن انتاج المفكرين

الذين كتبوا في موضوعه، ثم مواصلة الكتابة واثراء الموضوع، وذلك ابتداءً من النقطة التي انتهت فيها دراساتهم" (بوحوش، 1985، صفحة 47)

كذلك، فإن من أهم ما يمكن الإفادة منه حين يقوم الباحث بالاطلاع عن محتوى تلك الدراسات الأكاديمية السابقة، هو أن يقدم مصوغ ومبرر معرفي ومنهجي للخوض في هذا الموضوع أو ذاك، أي الحاجة المعرفية والبحثية فيه، وأن يكون لا يكون من باب تكرار واجترار ما تم إنجازه فيه من قبل سابقه بعد أن تبين للباحث أن من سبقوه قد تجاهلوا قضية ما أو مشكلة جزئية معينة أو أن الأساليب المنهجية التي تم اعدادها كانت قاصرة ولم تشمل الموضوع في كليته، فإن لم تكن هناك حاجة ملحة دفعت الباحث إلى اختيار موضوعه البحثي فلا فائدة من البحث فيه أصلاً ويصبح الأمر مضيقاً للوقت والجهد، فـ "الهدف من عرض الباحث دراسة من سبقه إفادته منه، وبيان الحاجة لمزيد من الدراسات في الموضوع، فيكون هذا العرض مسوغ للكتابة فيه مرة ثانية" (يحياوي، 2021، الصفحات 321-322)

وزيادةً على ما سبق، تتضح أهمية الدراسات الأكاديمية السابقة في بحوث العلوم الاجتماعية، إلى سعي الباحث وتوجيه جهده إلى محاولة تحليل وتعديل النتائج التي تم التوصل إليها سابقاً في هذه الدراسات حسب مستجدات واقعه الراهن سواء كانت سياسية أو ثقافية أو علمية أو اقتصادية أو اجتماعية. ومن ثمة، "تؤدي المراجعات النظرية للدراسات السابقة إلى تحديد قوة أو أساس الإطار النظري بحسب المستجدات البيئية التي قد تفرض أحياناً بعض التغيير في الأسس النظرية والفرضيات التي تقوم عليها هذه الدراسات العلمية أو تلك" (عبيدات، 1999، صفحة 26)

ولعل ما يُبرر قيمة وأهمية الدراسات الأكاديمية السابقة أنها تعد شرطاً أساسياً في البحث العلمي والقيام به واجبٌ من طرف الباحث ودون استوفاء هذا الشرط لا يعد ما انجزه الباحث انه ينتمي إلى مجال البحث العلمي، إذ إنه "لا يسمح للطالب أن يضع نقطة سوداء على ورقة بيضاء قبل أن يستوفي الشرط الأساسي لكل بحثٍ عملي وهو القراءة المتأنية المتفحصة حول الموضوع، وقد تطول فترة القراءة أو تقصر حسب طبيعة الموضوع ومستوى البحث والدرجة العلمية المحضرة والوقت المخصص لها قانونياً، وقدرة الطالب على الاستيعاب وأخيراً ما يقرره الأستاذ المشرف من خلال متابعته للتقارير التي يقدمها الطالب عن قراءته" (يحياوي، 2021، صفحة 323)

فضلاً عن ذلك، فإن من الأمور التي يستفيد منها الباحث بعد اطلاعه الدقيق والعميق حول ما كتب عن موضوعه وما تم إنجازه من دراسات سابقة أنها "توفر للباحث الاطلاع أكثر وتتيح له فرصة الرجوع إلى الجوانب النظرية والفروض التي تم اعتمادها والمسلمات التي تبنتها مما يجعل الباحث أكثر جرأة في التقدم في بحثه، كما أن الاطلاع على الدراسات السابقة يُجنب الباحث الوقوع بالأخطاء والصعوبات، ويعرفه بالوسائل التي اتبعها غيره من الباحثين في معالجة المشكلة" (يحياوي، 2021، صفحة 326)

من جهةٍ أخرى، تمنح الدراسات الأكاديمية السابقة إمكانية أن يتعرف الباحث بشكلٍ أولي عن أهم المصادر والمراجع التي تصب في صميم موضوعه في كليته وشموليته أو ما يفيد في أحد جوانب وجزيئات موضوعه "وهكذا يدون وبشكلٍ أولي المصادر والمراجع التي يحصل عليها، ويجد الباحث أن بعضها منها تتصل بموضوع بحثه اتصالاً عاماً، وبعضها يخص بعض أبوابه أو

فصوله وكل ما يحصل عليه يجعل احاطته بموضوع بحثه أكثر تكاملاً وشمولاً" (يحياوي، 2021، صفحة 326)

ومن النصائح التي ينبغي على الباحث اتباعها أثناء اشتغاله على الدراسات الأكاديمية السابقة حول موضوعه، أن يمتلك آلية القراءة التي "يجب أن تكون بصورة متأنية ودقيقة، من خلال القيام بوضع ملخص مركز يتضمن التعريف بالإشكالية المدروسة، والخطة المعتمدة وأدوات التحليل المستخدمة، ومراحل الإنجاز والنتائج المتوصل إليها، وأخيراً ملاحظات الباحث حول العمل الملخص، يضمنها نظرة فاحصة لكل ما جاء فيه بصورة نقدية" (يحياوي، 2021، صفحة 327)

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أن على الباحث أن ينتقي ما يختاره من أبحاث ودراسات أكاديمية أن يضع معايير معينة منها قرابة هذه الدراسات وعلاقتها بموضوعه من جهة، وإلى كفاءة ومكانة أصحابها في الساحة العلمية، وعلى ضوء هذه المعايير يكون "الاطلاع على بعض الأبحاث التي تناولت موضوعاً شبيهاً بموضوعه، وطبعاً ينبغي انتقاء مجموعة من تلك الأبحاث على أساس كفاءة أصحابها ومدى المكانة التي يتمتعون بها في الوسط العلمي" (الخشيت، 1989، صفحة 19)

وعليه، سيجد الباحث المقبل على إعداد بحث في مجال العلوم الاجتماعية في مصاف الدراسات العليا، أن يكون مُطالباً بإعداد عمل أصيل بحيث يتميز به صاحبه عن البحوث التي تم إعدادها من قبل سابقه من الباحثين، ولعل البحث عن شيء جديد هو ما يبرر الفترة الزمنية الطويلة التي يستغرقها البحث، والجهد الكبير الذي يستنزف الباحث، ذلك أن أغلب جهده سيوجهه أولاً لفحص مجمل الدراسات الأكاديمية السابقة التي تناولت

موضوعه من جانبٍ معين وكل ذلك من باب الإحاطة الشاملة بموضوعه. (جواق، 2021، صفحة 127)

إلا أن هناك ملاحظة مهمة يجب الإشارة إليها، وهي ملاحظة قد نوه إليها الفيلسوف الإيطالي "إمبرتو إيكو" في كتابه "كيفية إعداد رسالة دكتوراه"، أنه حينما نتحدث عن الأصالة أو الاكتشاف أو الابتكار في البحوث الاجتماعية فإن الأمر يختلف عن الأصالة في البحوث العلمية الأخرى. فالباحث هنا ليس مطالب بإنجاز شيء من عدم، وأكثر ما يمكن أن ننتظر منه هو تقديم البيانات والمعلومات والنصوص الكلاسيكية والوثائق القديمة التي تحصل عليها أثناء عملية البحث في ثوب جديد أو تقديم تأويل وقراءة جديدة تتناسب وسياقه الثقافي والزمني، وهي المهمة الرئيسة الملقاة على عاتق الباحث في مجال العلوم الاجتماعية. (إيكو، 2002، الصفحات 14-15)

في ذات السياق، يُشير الباحث "أحمد شلبي" في مؤلفه الموسوم بـ "كيف تكتب بحثاً أو رسالة" على أهمية الاطلاع على الدراسات الأكاديمية السابقة وفحص محتواها وما جاء ثاويها فيها، مؤكداً على أن "الباحث يبدأ من حيث انتهى غيره من الباحثين، ليسير بالعلم خطوة أخرى وليسهم في النهضات العلمية بنصيب، وليس الابتكار المطلوب في الرسائل هو كشف الجديد فحسب، بل هناك أشياء أخرى غير الكشف يشملها لفظ الابتكار، وذلك مثل ترتيب المادة العلمية ترتيباً جديداً مفيداً، أو الاهتمام إلى أسباب جديدة لحقائق قديمة، أو تكوين موضوع منظم من مادة متناثرة" (شلبي، 1968، صفحة 8)

ومن جهةٍ أخرى، فإن ما نشير إليه بلفظ الابتكار في البحوث الاجتماعية قد يتسع ليشمل أيضاً الطريقة المنهجية في ترتيب وتصنيف

المعلومات والبيانات وتقديمها في إطار جديد ومتناسق يستفيد منها الباحث ويفيد من خلالها الآخرين أيضاً، وهي الفائدة المرجوة من إعداد دراسة في مجال العلوم الاجتماعية. ومن ثمة، فالجديد هنا يعني أيضاً "أن نتعلم كيفية ترتيب الأفكار وتنظيم البيانات، إنها نوع من العمل المنهجي وهذا يعني بناء شيء ما قد يسهم في إفادة الآخرين أيضاً" (إيكو، 2002، صفحة 18)

ولعله في حُكم النافل من القول، أن الدراسات الأكاديمية السابقة تعد خطوة مهمة جداً في عملية البحث العلمي، كما يعد الاطلاع عليها وفحص ما جاء ثاوياً فيها وتحليل المناهج التي تم استعمالها والنتائج التي تم التوصل إليها هي أول عمل يقوم به الباحث قبل مباشرة البحث في موضوعه، لجهة أنها تُقدم له تصورات وأحكام أولية عن موضوعه، وتهدية السبيل إلى المصادر والمراجع المهمة التي تخدم موضوعه، من جهة. وإيضاً تفتح للباحث آفاقاً وأبعاداً جديدة لموضوعه، وهي الأفاق والأبعاد التي تجعله يتجاوز ما انتهى إليه سابقوه من الباحثين بغية تقديم مساهمة فكرية جديدة في هذا المجال الذي يروم البحث فيه، لذلك فإن "من الأخطاء الشائعة في إجراء البحوث اعتبار الدراسات السابقة خانة يمكن أن تملأ في أي وقت من كتابة تقرير البحث. ولا يخفى أن كثيراً من الطلاب يشرعون في قراءة وتلخيص وعرض الدراسات السابقة بعد أن يكونوا قد فرغوا من جمع مادة بحوثهم وعالجوها كمياً ورصدوا نتائجهم وربما كان يختفي وراء مثل هذا السلوك اعتقاداً بأن الدراسات السابقة لا تعد جزءاً متكاملًا من عملية البحث إنما هي صفحات تُسطر لزيادة حجم البحث" (يحياوي، 2021، صفحة 323)

2. المصادر والمراجع بصفتها المكون الرئيسي للبحث في العلوم الاجتماعية

غني عن البيان، أن إنجاز بحث في مجال العلوم الاجتماعية يمر بالعديد من الخطوات والمراحل، منها أن يطلع الباحث على جملة الدراسات الأكاديمية السابقة حول موضوعه، كما أسلفنا القول سابقاً، والتي بدورها ستوجهه إلى قائمة من المصادر والمراجع التي ينهل منها المادة العلمية والمعرفية التي تُشكل مضمون بحثه، وهو في هذه المهمة سيصادف الباحث هنا العديد من الصعوبات والإشكالات؛ منها ما يتعلق بندرتها أو عدم توفرها، ولئن افترضنا أن الباحث استطاع الحصول عليها سيجد نفسه أمام مشكلة تتعلق بكيفية الاشتغال عليها وتوظيفها وهو ما يُمثل تحدياً كبيراً ينبغي على الباحث التمكن من مجاوزته والتغلب عليه. وذلك "حتى يتمكن الباحث من إنجاز بحثه على أكمل وجه؛ ولذا فيجب عليه أن يطمئن إلى إمكانية الحصول على كل ما يحتاج إليه من مصادر ومراجع" (الخشت، 1989، صفحة 09)

وتأتي أهمية الحديث عن المصادر والمراجع التي تُشكل عماد البحث العلمي والمقوم الرئيسي له، ذلك أن "مراجع معينة قد تدفع الطالب لاختيار موضوع خاص (...) كما أن الطالب قد يعثر على مخطوط أو على عدد من المخطوطات لم تنشر بعد، وفيها مادة جديدة، فيدفعه ذلك إلى موضوع يتصل بهذه المعلومات الجديدة النافعة" (شلي، 1968، الصفحات 27-28)

وغني عن البيان، أن على الباحث بعد أن يختار موضوعاً ما بشكل نهائي وحاسم، عليه أن يتوجه إلى البحث عن المصادر والمراجع التي يستعين بها والتي تتصل مباشرة بموضوعه البحثي. وفي هذا الصدد، فإن مما يُنصح به أن يعد قائمة أولية لها يكون قد جليها من فهارس المكتبات المعدة مسبقاً،

وهي عملية تُسهّل على الباحث الكثير من الجهد والعناء وتوفّر له بعضاً من الوقت. وما أن ينتهي الباحث من ذلك حتى يُسارع إلى القيام بفحصٍ شامل لها عبر قراءة لمحتوى الموضوعات الخاصة بكل مصدر ومرجع من تلك القائمة التي كان قد أعدّها، وهو ما سيمكنه من تصنيفها وترتيبها حسب درجة الأهمية وحسب درجة القرابة إلى موضوعه، وهكذا تتكون في ذهن الباحث صورة عامة حول ما يخدم موضوعه من عدم ذلك. (إيكو، 2002، صفحة 75)

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أن على الباحث أن يُبرز شخصيته البحثية؛ أي أن يكون حضوره قوياً وفعالاً في مظان البحث ولذلك يتوجب عليه "أن يفحص بعمق كل ما يقرأ، وألا يُسلم بما يقرره غيره من نتائج، بل يدرس هو الأحداث والأسباب مع مقارنة النصوص ببعضها البعض، لتبرز شخصيته في كل مراحل البحث، شخصية إيجابية مؤثرة" (شلي، 1968، صفحة 15)

وعلى ضوء ما سبق، يتضح أن الباحث في العلوم الاجتماعية فهو بحاجة إلى امتلاك الأدوات العلمية والمعرفية واللغوية والمنهجية اللازمة، وهي على تعددها وتنوعها يمكن تقسيمها إلى أدوات نظرية وأخرى تطبيقية، أما الأولى فـ "تتمثل في الجانب العلمي الذي يُغطي أبعاد الظاهرة أو المشكلة محل الدراسة، من خلال الرجوع إلى المصادر الأولية أو الثانوية المتمثلة في المراجع العلمية، سواء أكانت مخطوطات، أو كتب أو دوريات، أو موسوعات، أو مواقع أنترنت" (سرحان، 2019، صفحة 104)

في هذا السياق، هناك ملاحظة هي على درجة كبيرة من الأهمية، ينبغي الإشارة إليها، وهي أن الباحث سيكون له الدراية التامة بموضوعه، حول ما

إذا كانت الأدوات النظرية وحدها كافية أو أن الموضوع يستلزم الأدوات التطبيقية، ولكن في الغالب فإنه من باب الإلمام بالموضوع فإن الباحث بحاجة ماسة إلى هذه الأدوات لتكملة الجانب النظري، وتمثل هذه الأدوات التطبيقية في "تصميم أدوات بحث لجمع البيانات ومن أبرزها (الاستبيان، المقابلة، الملاحظة...)". وأغلب البحوث تعتمد على جمع البيانات من الأدوات النظرية، بينما تحتاج بعضها إلى الأدوات التطبيقية، كي تكمل دور الأدوات النظرية، وكل ذلك يرجع إلى منهجية البحث وأهدافه وفروضه (سرحان، 2019، صفحة 104)

ولعل من بين المهارات والكفاءات أيضا التي يجب أن يمتلكها الباحث اليوم في العلوم الاجتماعية، هي اللغات الأجنبية، ذلك أنه "دائماً ما تظهر الحاجة إلى الاطلاع على كتاب باللغة الأجنبية" (إيكو، 2002، صفحة 35). ومن ثمة، يجب أن يتقن الباحث لغات الآخرين حتى يتمكن من الاستثمار الفكري في أفكارهم وأبحاثهم وهو ما يُمثل بالنسبة للباحث تحدياً معرفياً ينبغي عليه مجاوزته من أجل الاشتغال على المادة العلمية للموضوع كما تم تناوله بلغته الأصلية، أي على المصادر بالدرجة الأولى وهو المطلوب في البحث العلمي، وعليه فـ "الشيء الذي لا يجوز الإقدام عليه هو أن اعتمد على المؤلف الذي أدرسه من خلال الآخرين" (إيكو، 2002، صفحة 67). تجنباً للتأويلات التي تُصاحب أي ترجمة والتي تتداخل فيها ذاتية المترجم مما يُبعدها في كثير من الأحيان عن المعنى الحقيقي للمؤلف الأصلي ولذلك يقال عن أي ترجمة مهما ابتغت أن تكون دقيقة وموضوعية أنها خائنة، أما السبيل الوحيد لمجاوزة هذه المشكلة فيكون بامتلاك اللغة الأجنبية من أجل الوقوف على المعاني والدلالات الحقيقية للنصوص والأفكار والمعلومات. وهو الأمر الذي نوه إليه الفيلسوف الإيطالي "إمبرتو إيكو" في قوله عن الترجمات

أنها "لا تكون دائماً أمينة لعمل المؤلف، والقيام بإعداد أطروحة يعني الكشف عن فكره الأصلي وخاصة إذا كانت الترجمات قد زيفته" (إيكو، 2002، صفحة 36).

من جهةٍ أخرى، إن امتلاك الكفاءة اللغوية المطلوبة، تعني في جملة ما تعنيه، أن لدى الباحث القدرة على التعامل المباشر مع ما جاء ثاوياً في المصادر والمراجع الأجنبية، كما أنها تعد فرصة أمام الباحث لتعميق كفاءته في هذه اللغة أو تعلم لغةٍ جديدة تُضاف إلى رصيده اللغوي والمعرفي، لذلك يجب "أن يكون الباحث قادراً على التعامل المباشر مع مظان البحث، لاسيما إذا كانت هذه المظان بلغاتٍ أجنبية، فعليه أن يتأكد من توافرها باللغة الأجنبية التي يتقنها. وإذا كان لدى الباحث الوقت الكافي لتعلم لغة جديدة تمكنه من التعامل المباشر مع مظان بحثه، فعليه أن يغتنم هذه الفرصة لأنها ستضيف إليه الشيء الكثير" (الخشت، 1989، صفحة 10)

ولما كان البحث العلمي هو فرصة جيدة للاطلاع على ما تم إنجازه في البيئات الثقافية الأخرى، ومعرفة الأساليب والطرائق التي تم اعتمادها من طرف الآخرين المختلفين لغوياً وثقافياً عن الباحث وكيفية معالجة المشكلات المعرفية للموضوع والمقارنة بينها، أما مفتاح هذا الباب فيكون بامتلاك الباحث للعدة اللغوية "وخاصة إذا تم تناول المشكلة في بلدٍ آخر أو في بيئة تختلف عن بيئة منطقة الدراسة، الأمر الذي يُمكن الباحث من المقارنة، وكذلك الاستفادة من خبرات الباحثين في سبيل تناولهم للمشكلات والمصادر التي اشتقوا منها معلوماتهم وطريقة عرضهم وتحليلهم لها" (يحياوي، 2021، صفحة 325)

ومن جانبٍ آخر، فإن أنجع البحوث في مجال العلوم الاجتماعية هي تلك التي يُنجزها أصحابها والتي لم يتم تناولها باللغة الأصلية للباحث، وهنا يكون البحث مساهمة فعلية وجادة يستضيف بها الباحث أفكار الآخرين ويعمل على توثيقها في بيئته الفكرية مما يترتب عليه أمرين أساسيين؛ الأول محاولة الباحث تقديم حل لمشكلة راهنة تمس واقعه، أما الأمر الثاني فيتمثل في كون الباحث سيثق لنفسه طريقاً مستقبلياً في مجال البحث العلمي، وعلى ذلك نجد هناك تأكيد دائم على "أن يكون الموضوع لم يتم تناوله بلغة الباحث الوطنية، كأن يكون قد تم معالجته باللغة الإنجليزية مثلاً، ولكن حتى الآن لم يتم معالجته باللغة العربية. وأفضل أنواع البحوث على الإطلاق هو الذي يحل أو يُساهم في حل مشكلة علمية أو فكرية تمس الواقع المعاصر أو المستقبلي للباحث" (الخشت، 1989، صفحة 09)

وأخيراً، يمكن القول في هذا الصدد، أنه من بين الشروط الأساسية التي ينتهز عليها أي بحثٍ علميٍ رصين، هو في مدى توفره على المصادر والمراجع باللغات الأجنبية، ومن ثمة فـ "إن إجادة لغةٍ أخرى على الأقل يعد عنصراً هاماً من عناصر نجاح الرسالة، حتى يستطيع الطالب أن يقرأ أفكار قوم آخرين، ويرى كيف يعالجون الموضوعات العلمية، وسيلمس بنفسه حينئذٍ أنهم يختلفون في كثير من الاتجاهات عن قومه الناطقين بلغته" (شلي، 1968، صفحة 26)

من جهةٍ أخرى، فالباحث في العلوم الاجتماعية ينبغي أن يكون عليه مُعاصراً لسياقاته الثقافية والعلمية، من خلال الاستثمار في الإمكانيات التكنولوجية الراهنة في مجال الإعلام والاتصال من أجل جمع البيانات والمعلومات ومعالجتها وتوظيفها، ذلك أن "البحث عن المعلومات كان يعد من

أصعب العمليات في السابق، إذ كان الباحثون يحصلون على المعلومات من الكتب والدوريات المطبوعة، وكان على الباحث التنقل بين المكتبات والبحث بصيغة تقليدية على هذه المراجع، ومثال على ذلك استخدام بطاقات مخصصة للعناوين أو أسماء المؤلفين" (بوحوش، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، 2019، صفحة 75)

أما اليوم، فالوضع قد تغير تغييراً جذرياً في ظل ثورة التقنية والمعلوماتية، وهو ما يفرض على الباحث أن يكون قادراً على الاستثمار فيما جلبته هذه الثورة المعلوماتية من أدوات جديدة تسهل على الباحث الجهد والعناء وتوفر له الكثير من الوقت، ومن ثمة " أصبح البحث في متناول الجميع، وهذا نتيجة توفر المعلومات، إذ أصبحت متاحة للجميع، وأصبح من التحصل عليها سهلاً، نتيجة الشبكة العنكبوتية التي توفر عدداً لا حصر له من المعلومات على صفحات مواقعها التي لا تعد ولا تحصى من كثرتها وتنوعها، وتعد من أنجع طرق البحث عن المعلومات في العصر الحديث، مما وفر إمكانية لكافة الباحثين للبحث عما يريدونه من معلومات مختلفة، بهدف إثراء بحوثهم وتطوير مهاراتهم وتوسيع مدركاتهم في هذا العصر حيث أصبحت تقنية المعلومات من الضرورات التي لا يستغني عنها أحد" (بوحوش، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، 2019، صفحة 75)

لذلك، على الباحث أن يغير من ذهنية البحث في شقها التقليدي من خلال اكتسابه لمهارات وكفاءات جديدة في استخدام محركات البحث الرقمية، بحيث تجعله على إطلاع دائم بكل ما أُنشئ في الشبكة العنكبوتية من معلومات وبيانات وكتب إلكترونية، ف "من المعروف أن الأنترنت يحتوي على كم هائل من مصادر المعلومات التي يستقي منها كثير من الناس

معلوماتهم ومنها الكتب الالكترونية، قواعد البيانات، الدوريات الالكترونية، الموسوعات الالكترونية، المواقع الإخبارية، المواقع الشخصية، المنتديات وساحات الحوار"(بوحوش، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، 2019، صفحة 76)

يتضح مما سبق ذكره، أن المعلومات والبيانات في العلوم الاجتماعية تعد الجوهر الرئيسي للبحث، لذلك على الباحث أن يكون ملماً بما كُتب عن موضوعه من مصادر ومراجع وغيرها، إضافة إلى امتلاكه للعديد من الأدوات النظرية والتطبيقية، من أجل جمعها وتنظيمها وترتيبها حسب المشكلة الأساسية للموضوع والمنهج المحدد والهدف الذي يروم الباحث بلوغه. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، على الباحث أن تكون له الكفاءة العالية في استخدام الأدوات البحثية التي توفرها البيئة الرقمية اليوم من جهة، كما يجب أن تكون له الكفاءة اللغوية اللازمة والمطلوبة، حتى يكون الباحث على دراية تامة بما كُتب عن موضوعه بلغاتٍ أجنبية أخرى، ولعل مشكلة امتلاك اللغة الأجنبية هي أحد المشكلات التي تؤرق ذهن الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية، أما امتلاكها فهو السبيل الناجع لمزيد من فرص الاطلاع على بحوث الآخرين واستضافة أفكارهم وتبويبها في البيئة الفكرية للباحث.

3. الخاتمة:

وأخيراً، يمكن القول أن الغاية الرئيسة التي وجهت هذه الدراسة الموسومة بـ "المادة العلمية للبحث: في مفهومها وكيفية جمعها وتنظيمها وتوظيفها في العلوم الاجتماعية"، معرفة الكيفية التي ينبغي على الباحث أن يتعامل بها مع موضوعه من حيث جمع المعلومات والبيانات من مصادرها ومراجعتها وكيفية البحث عنها سواء بالطرق التقليدية (المكتبات والفهارس

...الخ) أو بالطرق الحديثة التي توفرها اليوم البيئة الرقمية والشبكة العنكبوتية متوسلاً بذلك بالمناهج والأدوات البحثية النظرية منها والتطبيقية حسب ما يستلزمه الموضوع، مشكلته وأهدافه، وقد انتهت هذه الدراسة إلى التأكيد على النقاط التالية:

- 1- التأكيد على أهمية الدراسات الأكاديمية السابقة بصفتها أحد أهم الدعائم التي يركز عليها الباحث في مجال العلوم الاجتماعية، حتى يبدأ من حيث انتهى غيره في موضوعه ويفتحه على آفاق جديدة لم يتم التطرق إليها في هذه الدراسات.
- 2- التأكيد على ضرورة أن يمتلك الباحث في مجال العلوم الاجتماعية الأدوات النظرية والتطبيقية اللازمة والمناهج والأساليب والطرائق الحديثة أثناء اشتغاله على موضوعه قيد الدراسة.
- 3- التأكيد على ضرورة أن يقوم الباحث بالاطلاع على ما كتب حول موضوعه من دراسات وأبحاث، مصادر ومراجع، وأن يحسن كيفية الاشتغال بها حتى ينجز بحثاً رزينا مع ضرورة أن يبرز الباحث شخصيته في مظهر البحث وأن يكون بحثه متصلاً بواقعه سواء المحلي أو الدولي، وهو ما سيسهم في تقديم حلول لمشكلات راهنة، وذلك من باب الأصالة والجدة العلمية التي يتطلبها البحث العلمي.
- 4- التأكيد على ضرورة أن يمتلك الباحث في مجال العلوم الاجتماعية إذ ما أراد أن يكون بحثه في مصف الأبحاث العلمية المتميزة أو أن تكون له مكانة مرموقة في الساحة المعرفية؛ اللغات الأجنبية التي تجعله مطلعاً على كل ما تم تدوينه حول موضوعه

في البيئات الثقافية الأخرى، من جهة. وأن يكون متمكناً من التكنولوجيات الرقمية الحديثة أي مُسائراً لروح العصر في شقه التقني والعلمي وهو ما لا يجعله أسيراً للطريقة التقليدية في عملية البحث منفتحاً على الثورة المعلوماتية وهو ما سيوفر للباحث الجهد والعناء والوقت والقدرة على الوصول إلى أي معلومة جديدة مهما كان مصدرها، الأمر الذي سيجعل من بحثه أكثر غنى وثراء من الناحية العلمية والمعرفية.

قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم يحيى. (2021). الدراسات السابقة أهميتها وكيفية توظيفها في بحوث العلوم الاجتماعية. مجلة علوم الانسان والمجتمع، المجلد 10 (العدد 01)، تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/149793>
- 2- أحمد شلبي. (1968). كيف تكتب بحثاً أو رسالة (الإصدار الطبعة السادسة). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- 3- آخرون، ومحمد عبيدات. (1999). منهجية البحث العلمي. عمان: دار وائل للنشر.
- 4- المحمودي علي محمد سرحان. (2019). مناهج البحث العلمي (الإصدار الطبعة الثانية). الجمهورية اليمنية: دار الكتب.
- 5- إمبرتو إيكو. (2002). كيف تعد رسالة دكتوراه (الإصدار الطبعة الأولى). (علي منوفي، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.

- 6- سمير جواق. (2021). تقنيات إعداد رسالة الدكتوراه حسب إمبرتو إيكو. مجلة العلوم الانسانية، المجلد 05 (العدد 02). تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/175042>
- 7- عمار بوحوش. (1985). دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 8- عمار بوحوش. (2019). منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية (الإصدار الطبعة الأولى). برلين-ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
- 9- محمد عثمان الخشت. (1989). فن كتابة البحوث الاجتماعية وإعداد الرسائل الجامعية (الإصدار الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع.